

الفصل الثامن

لا عذر لك

منذ أن سأل الله آدم وحواء عن الخطية الأولى، والناس رجالاً ونساءً، يقدمون أعذاراً لسلوكهم، وإليك بعض الأعذار التي يقدمونها عن تدميرهم.

1- "أنا لا أتدمر، بل أعبر عن الحقائق". لاشك أنه جيد أن ينظر المؤمنون إلى واقعهم بواقعية، لكن لا يجب أن يتدمروا، بل على العكس، فإن وعيهم بالحقائق يعني أيضاً أنهم واعون بعظم بركة الله لهم. فإذا فكروا في مشاكلهم أكثر من تفكيرهم في مراحم الله، فإنهم يكونون صورة مشوهة عن الحقائق. والوعي بالحقائق لا يمنع المؤمن من خدمة الله كما ينبغي أن تكون الخدمة، لكن التدمير بسبب مشكلته، هو الذي يمنعه من الخدمة. فلنواجه الحقائق مهما كان الثمن، ولا بد أن يقودنا ذلك إلى الشكر لله، ليس على ما فعله من نحونا فحسب، بل أيضاً على ما فعله نحو الآخرين. أما إذا كنا نحسد الآخرين، فذلك معناه أننا نفكر في مشاكلنا أكثر مما ينبغي، وأنا لا نفكر في وجود الله بالدرجة الكافية!!

2- "أنا لا أتدمر، لكني شاعر بذنبي". من السهل أن تقول هذا، ولكن عندما يزول سبب الضيق سرعان ما يختفي الإحساس المزعوم بالذنب، وهذا يدل على أنه لم يكن هناك أي تبكيت على الخطية على الإطلاق. إن المؤمنين المتألمين بسبب الخطية فعلاً، لا يريدون أن يضيفوا بتدميرهم إثماً آخر، بل بالأولى سيكونون سعداء أن يخضعوا لتأديب الله.

3- "أنا لست سعيدا لأنني لا أشعر أن الله معي". لكن مجرد معاناتنا لا تعني أن الله قد تركنا. إن الأب لا يكون قد انقلب ضد ابنه عندما يؤدبه. لقد وعد الله أن يكون مع شعبه، وبصفة خاصة في أوقات الضيق: "إذا اجتزت في المياه فأنا معك، وفي الأنهار فلا تغمرك" (إش43: 2). إذا فالله موجود، ولكن يبدو أن بعض المؤمنين لا يشعرون بذلك، لأن روح التذمر قد أبعد كل إحساس بحضور الله، فإذا أرادوا أن يشعروا بقربه، عليهم أن يكونوا هادئين، وخاضعين، وحريصين على أن يكونوا كما يريد الله أن يكونوا.

4- "ليس الألم هو ما لا أستطيع تحمله بل موقف الآخرين". حتى موقف الآخرين في يدي الله، بل حتى الأشرار، يستطيع الله أن يستخدمهم لتحقيق أغراضه، وعلى المؤمنين ألا ينسوا أن الأشرار تحت دينونة الله، وعليهم أن يصلوا من أجلهم. ومهما كانت معاملة الآخرين قاسية، فعلى المؤمنين أن يتذكروا دائما أن الله صالح مع أولاده. عليهم أن يحمده، ولا عذر لهم في تذرهم.

5- "لم أكن أتوقع هذا إطلاقا..." يجب أن يتوقع المؤمنون الصعوبات في هذه الحياة، وأن يستعدوا لأوقات الضيق، ليتكفروا من مواجهتها عندما تحل. لكن ترى كم مرة يمكنهم القول: "لم أكن أتوقع هذا" عندما يميزهم الله بجوده؟!!

6- "إن مشكلتي أسوأ من مشاكل الآخرين". كيف عرفت ذلك؟ ربما يكون تذررك قد قادك إلى المبالغة. لكن إن كان قولك صحيحا، فهذا يعني أن الله قد أعطاك فرصة لتمجده أعظم مما أعطى الآخرين، فعندما يرون كيف تتغلب على مشكلتك الضخمة سيمجدون الله، وربما يتشجعون في التغلب على مشاكلهم البسيطة.

7- "إن مشكلتي تمنعني من خدمة الله". أحيانا لا يستطيع المؤمنون أن يخدموا الله كما يتمنون؛ بسبب ظروفهم. إن الرغبة في خدمة الله، أمر طيب ولاشك، ومن الطبيعي أن نحزن عندما نعجز عن ذلك، ولكن هذا ليس عذرا للتذمر. نحن أعضاء في

جسد المسيح، ومن الأفضل أن تكون عضواً غير هام في جسد المسيح، من أن تكون شخصاً مهماً دون أن تكون عضواً في هذا الجسد. إن المؤمنين جميعاً لهم دعوة روحية لكي يتموها، مهما كان تصورهم لدرجة أهميتهم؛ فالأعمال البسيطة من مؤمن متضع تسر الله أكثر من كل الإنجازات الشهيرة في التاريخ، فما يطلبه الله ليس الشهرة أو الإنجازات البراقة بل الأمانة والصبر. والذين يتحلون بمثل هذه الصفات الروحية، سيجازون في السماء. وعندما يفهم المؤمنون المتضعون ذلك، يدركون أن ليس لديهم أي مبرر للتذمر.

8- "لا أستطيع تحمل ظروفى لأنها دائمة الثقل". قد تفيدنا ظروفنا المتقلبة في أن نتعلم الثقة في الله في كل خطوة نخطوها. وفي كل الأحوال فإن مقامنا الروحي مستقر، وخيرنا الأبدي مضمون، وفي نفس الوقت فإن المسيح يمنحنا بركات كثيرة جدا "ومن ملئه نحن جميعاً أخذنا، ونعمة فوق نعمة" (يو:1:16).

9- "كنت غنيا والآن افتقرت". ليس هذا عذرا للتذمر، أليس في مقدورك أن تكون شاكراً؛ لأنك كنت يوماً ما غنياً، وكانت لك الفرصة للاستعداد ليوم الفقر هذا؟ أو لأنك كنت في صحة جيدة، وكانت لديك الفرصة للاستعداد ليوم المرض هذا؟ أو لأنك كنت حراً وكانت لديك الفرصة للاستعداد ليوم الاضطهاد؟ إن البحار الحكيم يستغل الأيام الهادئة، ليعد سفينته لمواجهة العواصف. ليس ما يلزم الله أن يعطي المؤمنين أي شيء، وعليهم أن يكونوا شاكرين من أجل كل بركة نالوها في الماضي وينالونها في الحاضر، وهم غير مستحقين لها. هل من الأمانة أن نتذمر من أجل صعوبات قليلة نواجهها في رحلة سادها التمتع بجوانب أخرى؟ لعل العذر الذي نحن بصددده يمكن ترجمته على النحو التالي: "أنا تكبدت مشقات كثيرة حتى حصلت على الثروة، وليس من العدل أن أفقدها". لكن قبل أن يتضايق المؤمنون كثيراً من جهة أي أمر، يجب أن يتأكدوا أنهم على حق في ضيقهم هذا، وبالتالي يجب أن يكونوا على استعداد أن يكفوا عن تدميرهم، إذا كان الأفضل لهم أن يغيروا موقفهم بموقف آخر يكون أكثر تمجيذاً لله.

أسئلة دراسية في الفصول من السادس إلى الثامن

- 1- إقرأ في: 2: 14، 15، هل تؤمن أن التدمير خطية؟
- 2- إقرأ إش: 53: 3- 7. إن ربنا يسوع المسيح لم يتدمر حتى عندما صُلب ظلماً وبقسوة. كيف يمكن أن يؤثر خلق وسلوك المسيح على خلق وسلوك المؤمن؟
- 3- إقرأ في: 4: 6، 7 وقارن بها 1 تس: 5: 16 - 18. ما هي العلاقة بين الصلاة والقناعة المسيحية؟
- 4- كان تدمير الإسرائيليين على الله، الذي أخرجهم من أرض مصر، تدمراً مستمراً، وقد غضب الرب عليهم وعاقبهم. هل تعتقد أن الله يغضب علينا عندما نتدمر من جهة بعض الأشياء؟ وهل يمكن أن تكون بعض متاعبنا بمثابة عقاب الله لنا بسبب تدميرنا؟
- 5- إقرأ عب: 12: 7 - 11. كيف يكون الضيق والصعاب جزءاً من تدريبنا للبر؟ وما هو الموقف الصحيح المطلوب لمثل هذا التدريب لضمان نجاحنا؟
- 6- ما هي الطرق التي تبحث عنها لتبرير تدمراتك؟
- 7- ما الذي تعلمته عن نفسك من هذه الدراسة؟